تصدير

ترجع فكرة هذا المعجم إلى مصدرين : أولهما مقال لى نشر عام 2000 يحمل عنوان « إشكالات مفاهيم العلوم الإنسانية المعاصرة » والآخر بعض المعاجم العربية والأجنبية التى تناولت بعض هذه المفاهيم وتركت جانبًا بعضها الآخر رغم أهميتها البالغة من الزاوية المعرفية والعلمية .

إن مفاهيم العلوم الإنسانية ، قد شاهدت تطورات مهمة منذ ظهور عقد السبعينيات ، فبعد أن كان العلماء والباحثون لا يتحدثون فى الغرب إلا عن مضمون الظواهر الإنسانية ، أصبحوا الآن يتحدثون عن (بنية) تلك الظواهر أو نسقها أو نظامها أو لغتها . وصار مصطلح (بنية) Structure يتردد على لسان علماء النفس ، والأنثروبولوجيا ، والاجتماع واللغة ، والمهتمين بتاريخ الثقافة ، والاقتصاد ، ونقد الأدب .

إن التطبيقات الواسعة التى عرفها منهج التحليل البنيوى هى السبب وراء شيوع هذا المصطلح فى مجالات عديدة من مجالات العلوم الإنسانية أو فى مجالات أخرى بعيدة عن مجالات هذه العلوم ، ولعل السبب فى انتشار هذه التطبيقات يرجع إلى كون الباحث أو العالم يريد أن ينظر إلى موضوع الظاهرة نظرة منطقية علمية تعتبر هذا الموضوع نظامًا أو نسقًا يمكن التوصل إلى معرفته من خلال رد نمط من الواقع إلى نمط آخر انطلاقًا من نموذج قد تم تركيبه يسمح له بالوصول إلى نمط من القوانين العامة .

إن التحليل البنيوى يمثل مرحلة هامة من مراحل سير العلوم الإنسانية ، وأن تطبيقاته الواسعة الانتشار قد أقامت الدليل القاطع على أنه قادر على إيجاد العقلانية فى العديد من المجالات التى لم تكن قد عرفت التنظيم الفكرى المتماسك ، باعتبار أن هذا النمط من التحليل يميل إلى اصطناع منهج أو مناهج المنطق الرياضى فى النظر إلى الظواهر الاجتماعية أو السيكولوجية ، أو الأنثروبولوجية .

إن التحليل البنيوى عملية منهجية علمية تبرز أهمية مفهوم « البنية » فى تفسير الظواهر الإنسانية المختلفة وتدعمه مجموعة العلوم المهتمة بدراسة

العلامات signes أو أنسقة العلامات . وعلى هذا الأساس أحرز هذا التحليل نجاحًا بارزًا فى مضمار علم اللغة والاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، والتحليل النفسى . . . إلخ .

ومفهوم البنية Structure فى مضمار العلوم الإنسانية يعنى (كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه) .

إلى جانب هذا المفهوم ظهرت مفاهيم أخرى جديدة أو حديثة ظهرت مع ظهور هذا النمط من التحليل ، مثل مفهوم « النموذج » أو مفهوم « رمزية لاشعورية » أو « التقابل الإبستمولوجى » أو مفهوم « العلاقة اللغوية » أو « الوظيفة الرمزية » أو « أنساق المعقولية » أو غيرها من المفاهيم التى شاعت بعد ظهور هذا النمط من التحليل أو بعض ظهور الاتجاه البنيوى .

إن مصادر هذه المفاهيم ترجع إلى الثقافة واللغة الفرنسية ، وانتقلت إلى مضمار الثقافة العربية بوساطة الاحتكاك المباشر أو غير المباشر بهذه الثقافة عن طريق الإعلام والباحثين العرب .

والباحث العربى لا يمكنه الإفادة من هذه التطورات وتلك المفاهيم إلا إذا استطاع الوقوف على الخطوط الأساسية للمبادئ العامة للبنيوية ، فضلاً على الوقوف على دلالة المفاهيم أو الاصطلاحات التى أفرزتها وعلى هذا الأساس لا يستطيع أن يقيم بحثه أو دراسته إلا إذا حدد مضمون المفاهيم أو الاصطلاحات الواردة فيه ، وعدم أداء هذه المهمة يجعل عمله يشوبه الاضطراب فى المعانى والخلط فى الفكر ، فضلاً عن تشويه المعرفة فى المجال الذى يعالج فيه موضوعه من ناحية وخروجه عن قواعد التفكير العلمى من ناحية أخرى ، فهذه القواعد تقرر ضرورة أن يحدد الباحث دلالة كل تعبير أو مصطلح ورد فى نص عمله ، كيلا يحدث لبسًا أو غموضًا فى بعض عناصره اللغوية أو المعرفية أو العلمية .

خاصة بعد أن تلاقت معظم فروع العلوم الإنسانية مع بعضها البعض وتداخلت بعض المفاهيم مع البعض الآخر . الأمر الذى يقتضى ضرورة معرفة الفروق اللغوية والعلمية فيما بينها . ومعرفة ما طرأ عليها من تغير طفيف أو كبير فى المضمار الذى تستخدم فيه .

أمام هذه الاعتبارات التى تزداد قيمتها للباحث ، رأينا أن نقدم هذا المعجم . وقد اعتمدنا فى تحديد دلالة المفهوم أو المصطلح على الإيجاز ، الأمر الذى جعلنا نكتفى بذكر المراجع فى نهاية المعجم لا فى ثنايا النصوص الخاصة بتعريف المصطلح . وقد تضمن هذا التعريف أصل الكلمة الفرنسية والإنجليزية يقابلها المعنى الموافق أو المقارب لمعناها بالعربية .

هذا العمل محاولة لإلقاء الضوء على مدلول أهم المصطلحات الجديدة فى العلوم الإنسانية المعاصرة التى نقلت من اللغة الأوروبية إلى الثقافة العربية فى عقدى الثمانينيات والتسعينيات دون أن تحدد دلالة أغلبها فى بنية اللغة والثقافة العربية ، لنسهم فى تعبيد الطريق أمام الدارس أو الباحث من زاوية معرفة مضمون مفاهيم هذه العلوم حين يستخدمها فى إطار عمله . وهو مجال مازالت المحاولات فيه نادرة .

والمعجم يحمل إلى الدارسين والباحثين والمهتمين بأمر هذه العلوم عددًا من الرسائل أهمها : كيف أن تعريف المفهوم أو المصطلح فى نص البحث أو الدراسة مسألة جوهرية ترتبط ارتباطًا مباشرًا بالجوانب النظرية فيه . وكيف أن تلاقى فروع هذه العلوم مع بعضها يحتم على الباحث أن يوضح الفروق بين المفاهيم وبعضها فى المجال الذى يعالج فيه موضوعه . لا سيما وأن نقل المفاهيم من ثقافة إلى أخرى ليس بينهما تكافؤ ثقافى يفقدها ذات الدلالة فى الإطار الذى نشأت فى سياقه أو فى الإطار الذى تم النقل إليه لأن اللغة بين الثقافتين ليست واحدة والمفردات والتعابير لا تستخدم بذات المعانى ، وتجاهل هذه الحقيقة من شأنه أن يحدث خلطًا فى المعايير وتشويها فى المعرفة على المستويين النظرى والعملى . ومن هنا كانت العناية بتحديد دلالة المفاهيم أو الاصطلاحات المنقولة إلى اللغة والثقافة العربيتين مسألة أساسية وإلا ستصبح أغلب محاولاتنا فى هذا السبيل ضربًا من اللغو والفوضى والعبث ، تلك مضامين الرسائل التى رجوت أن يحملها هذا العمل إلى القارئ العربى .

مقدمة

قضيت نحو أربع سنوات فى إعداد هذا المعجم الخاص بتعريف مفاهيم نظرية الثقافة والعلوم الإنسانية محاولاً بعملى هذا أن أسهم فى خدمة اللغة العربية التى دخل إلى حصيلتها مفردات واصطلاحات جديدة بفضل احتكاك الإعلام والباحثين العرب بالثقافة الغربية المعاصرة .

أملاً أن يكون مرجعًا للطلاب والباحثين فى فرع من فروع هذه العلوم ، فهم إذا صادفتهم صعوبة فى فهم مضمون بعض المصطلحات الحديثة ، فإنهم سيجدون فى هذا المعجم المصطلح الأجنبى مرتبًا على حروف الهجاء بلغته الأصلية وإلى جانبه ما يقابله من المعانى فى اللغة العربية .

والملاحظ أن كثيرًا من المصطلحات الحديثة فى مضمار هذه العلوم تهدف إلى إخضاع الظواهر الإنسانية لعملية بنائية أساسها المعايير العقلانية والوضعية .

وعلى هذا الأساس فإننا نلاحظ شيوع مثل هذه المصطلحات فى مضمار الدراسة الاجتماعية : البنية الاجتماعية Structure Sociale ، البناء الكلى Structure Globale ، الدلالة الاجتماعية Signification Social ، جماعة اجتماعية Groupe Sociale .

بينما نجد فى مضمار الدراسة السيكولوجية مثل هذه المصطلحات : البنية اللاشعورية Structure Inconscience ، اللاشعور Inconscience ، رمزية الحلم Symbole de rêve ، النظام الرمزى Systeme Symbolique ، تهيؤات Fantasmes .

هذه المصطلحات رغم اختلافها فى المدلول ، لكنها متفقة كلها على استعمال لغة بنيوية علمية موحدة ومما ساعد على ذلك وجود لفظة (البنية) التى تعد عاملاً مشتركًا بين مفاهيم هذه الاتجاهات فى مضمار العلوم الإنسانية .

ونحن إذا دققنا النظر فى هذه المصطلحات وجدناها تكشف عن مظاهر هذه الوحدة بطرق مختلفة فهى تبدو متفقة على حقيقة واحدة ، فهناك على

الدوام كلمة (بنية) وإن كان هناك اختلاف فى دلالاتها لدى كل اتجاه ولكن وظيفتها الرمزية واحدة .

فهذه المصطلحات تبدو متفقة فى جوهرها على الأساس الموضوعى فهناك علم الاجتماع البنيوى يستعمل مصطلح بنية المجتمع ، وكذلك علم النفس البنيوى يستعمل مصطلح « بنية اللاشعور » .

والباحث يضطر فى أحوال معينة إلى استعمال مصطلحات علمية محددة باعتبار أن تلك المصطلحات تعبر عن وجود علاقة مثالية بين موضوع البحث والمجال الذى يعالج فيه موضوعه .

وتتميز هذه المصطلحات البنيوية بالتزامها الدقيق بمبادئ المنطق والعمل على ما بينها من علاقات متبادلة بين الموضوع وبين النظرية التى يراد تطبيقها .

ولاشك أن هذه المصطلحات تتجه كلها نحو إبراز ما للغة من صدارة فى الظاهرة الإنسانية أو البشرية .

ولعل هذا هو السبب فى أن هذه المصطلحات قد دعمت بعدد معين من المسلمات تذكر منها بينها مسلمة الكلية Totalité القائلة (بأن الظاهرة الإنسانية لها طبيعة تكاملية أى تتضمن فى داخلها مجموعة عناصر متكاملة) .

أو مسلمة الظاهرة الإنسانية تماثل نموذجًا أو مسلمة الظاهرة الإنسانية نظام رمزى . هذه المسلمات أو غيرها تسعى نحو فهم الظاهرة الإنسانية فى ظل موجهات منهج التحليل البنيوى .

وإذا تساءلنا ومن أين أتت العلوم الإنسانية المعاصرة بهذه المصطلحات وتلك المفاهيم كان لزامًا علينا أن نتبين مصدرها وعلاقة هذا المصدر باتجاهات العصر ، أما عن الأول فهو النزعة البنيوية التى ظهرت فى ستينيات القرن الماضى كحركة علمية تحاول الإدراك أو التوصل إلى الكشف عن عالم الظواهر البشرية أو الإنسانية وما فيه من قوانين تحكم عناصرها ونظامها .

أما عن الثانى فهو الرأى الشائع عن الحركة البنيوية باعتبارها حركة معبرة عن نزوع الفكر الأنثروبولوجى والسيكولوجى واللغوى نحو ميدان

الإبستمولوجيا . فزيادة وعى الإنسان بقدرته على فهم طبيعة عصره وطبيعة ثقافته بجانب التطور الهائل الذى طرأ على مجال العلوم الطبيعية والتجريبية كان عاملاً أساسيًا فى انتشار هذه المفاهيم العلمية .

إن هذه المفاهيم يطرح بعضها إشكاليات نظرية وعملية أو بعبارة أخرى إلى حد تتفق هذه المفاهيم النظرية البنيوية مع العلم ومعاييره .

إننا نعتقد أن هناك أسبابًا متعددة تحول دون تحقيق نظرية علمية عامة للعلوم الإنسانية منها أن النظرية البنيوية لا تختلف عن سائر النظريات التحليلية من حيث قضاياها من جهة وأنظارها المفروضة من جهة أخرى وطبيعة مفاهيمها من جهة ثالثة .

فالمسلمة البنيوية القائلة بأن الظاهرة الإنسانية بنية كلية متكاملة تتضمن مجموعة متكاملة . هذه المسلمة تبدو غير واضحة من جهة ، فضلاً عن أن هناك شكوكًا فى صحتها من جهة أخرى لأننا لا نرى إلى أحد تتأثر أجزاء الظاهرة الإنسانية بهذا الكل المتكامل وإلى حد تتفاعل معه .

ولكن الأمر يختلف إذا قلنا إن البحث فى مضمار العلوم الإنسانية يبدأ بدراسة كل الظاهرة الإنسانية وينظر فى أجزائها باعتبارها عضوًا فى هذا الكل . فإن هذا القول يتفق إلى حد بعيد مع اتجاهات العلم الحديث وكما تؤيده النظرة العلمية .

والإشكال الثانى أن هذه المعطيات أو تلك المفاهيم تصبغ النظرية البنيوية بصبغة علمية وتجعلها تسوق نتائجها بصورة قاطعة واعتبارها نتائج يقينية ، بينما أن طبيعة النظرية البنيوية فى مضمار العلوم الإنسانية لا تسمح للباحث بإنجاز النظرة العلمية المجردة التى ينجزها العلم الوضعى أو العلوم الطبيعية أو التجريبية .

والإشكال الثالثة إزاء المفاهيم والمصطلحات البنيوية يتمثل فى الدلالات اللغوية لهذه المصطلحات فهناك فارق كبير بين قول الباحث أن اللغة جوهر الظاهرة الإنسانية وبين أن للظاهرة الإنسانية لغة ذات بنية خاصة . عبارة « لغة الظاهرة » واستبدالها بعبارة « اللغة جوهر الظاهرة » .

إن الجوهر لا يعنى البنية ، الأمر الذى يؤكد لنا أن اللغة تتدخل إلى حد

كبير فى تحديد صياغة مصطلحات العلوم الإنسانية . ومن هناك تختلف وتتصارع وجهات النظر حول التعريفات .

إن المشكلة اللغوية مشكلة تضعف من تحقيق الموضوعية سواء فى مضمار العلوم الإنسانية أو فى مضمار العلوم الطبيعية .

فالنظرية البنيوية فى مضمار العلوم الإنسانية تبدو فى مسيس الحاجة إلى إجلاء لغتها وتحديد مفاهيمها . نظرًا لأنها مازالت رغم الجهود المبذولة الآن تفتقر إلى وجود لغة علمية حتى يستقيم مضمار هذه العلوم علمًا كسائر العلوم الطبيعية أو التجريبية .

وفى هذا الصدد يمكن القول بأن المصطلحات البنيوية الجديدة يكتنفها الغموض والاضطراب ، إذ ليس هناك اتفاقًا بين الباحثين فى مضمار هذه العلوم حول المصطلحات والمفاهيم البنيوية الجديدة ، فقد اختلفوا مثلاً حول مفهوم البنية أو حول الفروق بين النظام والنسق أو التمييز بين العلامة والرمز .

هذا مظهر من مظاهر تعثر العلوم الإنسانية فى ظل منهج التحليل البنيوى نحو استخدام مصطلحات صارمة ودقيقة . وعلى هذا الأساس فإننا نرى أنه من الضرورى أن تتجه العلوم الإنسانية البنيوية نحو معالجة مصطلحاتها بأسلوب علمى منظم لتحديد لغتها وجعلها لغة علمية .

ونحن نخالف الرأى الذى يزعم بأن معانى مصطلحات هذه العلوم لا يشوبها الغموض وليست فى حاجة إلى تحديد . إننا نخالف هذا الرأى ونذكر أصحابه بأن لغة العلوم الإنسانية الراهنة فى ظل منهج التحليل البنيوى مازالت لغة كيفية كثيرًا ما تتأثر بالنزعات الذاتية فى حين أن لغة العلم لغة كمية . فالمشكلة التى تواجهها هذه العلوم فى ظل اتجاهاتها الجديدة هى أولاً وقبل كل شىء مشكلة تتعلق باللغة والمصطلحات من جهة وتتعلق بالميتابنيوية من جهة أخرى .

إذ أن من الضرورى أن تحرر العلوم الإنسانية البنيوية مصطلحاتها من الغموض كى تكون أهلاً للدخول فى نطاق العلوم الموضوعية . وإن كان هذا الأمر عسير المنال نظرًا لأن ذلك لا يأتى إلا بعد تحرير لغة العلوم

الإنسانية بوجه عام من طبيعتها الكيفية ومن روحها المذهبية التى تظهر أحيانًا لدى بعض الباحثين فى هذا المضمار .

والسؤال هو : كيف نحدد لغة العلوم الإنسانية البنيوية ؟ نحن نرى أنه من الضرورى أن يتوافر فى مصطلحات هذه العلوم عدة شروط أهمها أن تكون هى المصطلحات الموصلة مباشرة إلى المعنى الواضح الدقيق وأن تؤدى بنا إلى فكرة واحدة محددة .

أما الإشكال الرابع فيما يتعلق بالنظرية البنيوية فى مضمار العلوم الإنسانية ذاتها . نحن نعرف أن العلم الوضعى يتضمن عددًا من القضايا المحققة ومجموعة من الحقائق العامة التى تستند إلى التجريب والمشاهدة المنظمة لمحاولة إنجاز القانون الذى يرتكز أساسًا على المشاهدة العلمية .

والقانون الذى نقصده هنا هو القانون العلمى الذى يمكن التوصل إليه باكتشاف الأنماط أو الاطرادات فى سائر الظواهر البشرية .

أما القانون فى مضمار العلوم الإنسانية البنيوية الجديدة فمن الصعب تحقيقه ذلك لأن هناك إشكالاً منهجيًا ولغويًا يرتبط بمسألة تعميم الظواهر الإنسانية . فنحن لا نستطيع أن نحدد بدقة درجة تطور البناء النفسى لدى المريض الذى يعانى من نمط من أنماط الاكتئاب ، أو درجة تطور البناء الاجتماعى لدى جماعة أو مجتمع معين .

وهذا يرجع إلى أن طبيعة الظاهرة الإنسانية تختلف عن طبيعة الظاهرة الطبيعية التى يطرحها العلم الوضعى للبحث . وعلى هذا الأساس تفهم أنه ليس بإمكان الباحث فى العلوم الإنسانية أن يصيغ القوانين للظواهر موضع البحث .

وقد يقول قائل إنه بإمكان هذه العلوم أن تجد القوانين للظواهر الإنسانية ، ومثال ذلك يقول إن زيادة درجة التوتر تؤدى إلى تعطيل عملية الإبداع . ولكن يمكننا الرد على هذا المثال أو غيره بأن القانون لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا صدق على جميع الحالات أو الظواهر البشرية . فهذا القانون ينقصه العمومية والتجريد ، فالمثال السابق لا يرتبط بكافة الحالات ولا بكافة الظواهر البشرية .

مجمل القول أن مضمار العلوم الإنسانية البنيوية الجديدة يحتاج إلى تدعيم لغوى واصطلاحى وموضوعى حتى يستطيع الدخول إلى مجالات العلوم الوضعية .

ومن هنا تأتى أهمية هذا القاموس فى محاولة تحديد المفاهيم الحديثة وتحديد صياغتها وعباراتها ، كى تساهم فى عملية فهم أسس ومعايير هذه العلوم بطريقة موضوعية .